الحصة التطبيقية رقم 3)

الرواية والمسرح(3)

بدايات الاقتباس في المسرح المغاربي والجزائري ومبرراته :

إن الحديث عن بدايات تشكل ظاهرة الاقتباس في المسرح المغاربي يذكرنا ببدايات ظهورها في المسرح العربي، ذلك أن بداية الظاهرة في كلا المسرحين تزامنت مع بداية تشكل ملامح الظاهرة المسرحية، ففي المشرق و:«**بحلة افرنجية عرفنا مارون النقاش، اللبناني الأصل على المسرح، وكان ذلك في العام 1847م، عندما نقل هذا الرجل مسرحية "البخيل" عن" l'avare " النص المسرحي الذي ألفه الشاعر الفرنسي الكبير "Molière، وقدمه لنا نصا مقتبسا ومترجما إلى اللغة العربية مؤرخا بذلك لبداية معرفتنا بالمسرح، ولبداية قيامنا بتجارب مسرحية تستند في أصولها إلى نصوص مسرحية منقولة عن المسرح الغربي، بهدف إدخال هذه الظاهرة الفنية الغربية في بنية ثقافتنا المحلية**»[1]، فإذا كانت ظاهرة الاقتباس في المشرق العربي تزامنت مع دخول الظاهرة المسرحية للبلاد العربية، وترافقت معها، فإنها في المغرب العربي سارت على نفس المنوال، حيث تزامن ظهورها مع بديات نشوء الحركة المسرحية المغاربية بشكل عام.

وقد كانت الريادة في ظهور الاقتباس للمسرح الجزائري من خلال مسرحية "**في سبيل الوطن**" التي اقتبسها محمد رضا المنصالي عن مسرحية لكاتب تركي مجهول تحمل عنوان "في سبيل التاج"، وقدمتها فرقة "محمد رضا المنصالي" بتاريخ 22 ديسمبر 1922م بقاعة الكورسال بالجزائر العاصمة[2]، وبالرغم من أن هذه المسرحية قدمت قبل تاريخ البداية الفعلية للمسرح الجزائري، إلا أن النقاد والدارسين اتفقوا على أنها تعد أول مسرحية جزائرية كتبت وفق مواصفات المسرح الأوروبي، وهو ما

1- وطفاء حمادي، الخطاب المسرحي في العالم العربي، 1990-2006، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، بيروت لبنان، ط1، 2007، ص 83.

2- أحمد بيوض، المسرح الجزائري، نشأته وتطوره، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، 2011، ص 45.

أكده نور الدين عمرون بقوله: «**إن مسرحية في سبيل الوطن، قامت على أساس ومبادئ المسرح بالمفهوم الأوروبي، وتمتلك نص درامي بداخله حوار فعلي ركحي بصراع درامي وبعقدة مسرحية والنص المسرحي بعيد عن السرد الحكواتي، كما أن العرض المسرحي تتخلله المتعة واللذة ، ويجسد الشخصيات المسرحية ممثلون كل حسب دوره ومثلت في قاعة على خشبة مسرحية للعروض، مع وجود متفرجين، أما ما قبل مسرحية في سبيل الوطن أستطيع التأكيد أنها كانت عروض فرجة فنية شعبية، تدخل في إطار مظاهر الفرجة الفنية بمعنى أدق عروض ممسرحة، وبالتالي فإن مسرحية في سبيل الوطن من إخراج محمد رضا المنصالي أعتبرها أول عرض مسرحي في الجزائر باللغة العربية بمفهوم المسرح الأوروبي في عهد الحكم العثماني**»[3].

وعلى إثر هذه المسرحية توالت الاقتباسات، حيث اقتبس الجزائري علي سلالي الملقب بـ(علالو) مسرحية "جحا" المقتبسة عن مسرحية" طبيب رغما عنه " le médecin malgré lui" للكاتب المسرحي الفرنسي موليير، وقد قدمتها فرقة المطربية في شهر رمضان المعظم بتاريخ 12افريل 1926م بقاعة الكورسال بباب الواد بالعاصمة[4]، كما قدم المغربي المهدي المنيعيالعديد من المسرحيات المقتبسة عن الأعمال الموليريةعلى غرار : مسرحية "الطبيب المغصوب" المقتبسة عن مسرحية "طبيب رغما عنه le médecin malgré lui" سنة 1924م، ومسرحية "البخيل" المقتبسة عن كوميديا "البخيلl'avare" سنة 1927م، ومسرحية "طرتيف" التي اقتبسها بالاشتراك مع (عبد السلام التويمي) عن كوميديا طرثيفTartuffe سنة 1927.[5]

ولعل أهم ما لاحظه النقاد والدارسين على هذه المسرحيات التي فتحت مجال الاقتباس، وأرخت لبدايات تشكل الظاهرة المسرحية في بلدان المغرب العربي، هو اختلاف طريقتها من حيث التعامل مع

3-نور الدين عمرون، المسار المسرحي الجزائري إلى سنة 2000، شركة باتنيت، باتنة، الجزائر، ط1، 2006 ، ص 92.

4-المرجع نفسه، ص 46.

5_ محمد الكغاط، بنية التأليف المسرحي بالمغرب، من البداية الى الثمانينات، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب ، ط1، 1986، ص 45.

النص الأصلي، فإذا كان المقتبسون في المشرق العربي وخصوصا مصر قد حافظوا في اقتباساتهم على نصوص موليير الأصلية ونقلها إلى بيئتهم مع الحفاظ على شكلها ومضمونها، فإن المغاربة عمدوا إلى تكييف نصوصهم مع مختلف معطيات البيئة المغاربية، وذلك حتى لا يقعوا فريسة التقليد ويتسنى لهم تحقيق التجاوب المرجو مع الجمهور على اختلاف مستوياته الثقافية، وهذا ما يؤكده عبد الرحيم أصميدي بقوله: «**وحتى لا يقع المسرحيون المغاربة الأوائل تحت هيمنة ثقافة الأخر، حاولوا ممارسة الاقتباس بالمفهوم الذي يخول لهم التصرف في الشخصيات والأحداث دون المساس بالمعنى العام للمسرحية المقتبسة**»[6]، ومن هنا يمكن أن نعتبر أعمالهم تأليفا لو لم تكن تستمد أحد ملامحها عن الأعمال المولييرية.

ويبدو أن السبب الرئيسي في عودة الجزائريين الأوائل للمسرح الأجنبي لاسيما أعمال موليير هو البحث عن مواضيع تتناسب مع أهدافهم الفكرية وتطلعات جمهورهم، وهو ما اتفق عليه أغلب النقاد والدارسين للمسرح المغاربي، حيث أشار إليه ذات الباحث بقوله :«**الشيء الذي كان يقودهم غالبا إلى اختيار نص من النصوص المسرحية وإجراء عملية الاقتباس منه هو موضوع هذا النص الذي يعالج بعض القضايا التي كانت تحظى باهتمامهم.**»[7]

وغير بعيد عن هذا يعترف علي سلالي بأنه لم يأخذ من موليير سوى الفكرة الأساسية لنص "ممثل رغم أنفه"،حيث يقول : «**الواقع أنني استوحيت فقط موضوع الطبيب رغما عنه لموليير، أما مسرحية جحا، فهي بعيدة عن مسرحية موليير المعروفة**»[8]، وهذا الاعتراف من علي سلالي يؤكد أنه لم يأخذ من نص موليير سوى فكرته العامة المتمثلة في الحيلة والتي تتناسب كثيرا مع تراثنا الشعبي المليء بالحيل والنوادر، فكان اقتراب هذه المسرحية من حيل جحا سببا أساسيا دفعه إلى اقتباسها،

6- عبد الرحيم أصميدي، تأصيل النص المسرحي، دراسة لمسرحية أبو حيان التوحيدي للطيب الصديقي، دار التجهيز للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006.، ص12.

7- المرجع نفسه، ص12.

8-علالو، شروق المسرح الجزائري، مذكرات علالو عن فترة نشاطه المسرحي ما بين 1926-1932 ، ترجمة : أحمد منور، سلسلة دراسات، منشورات التبيين الجاحظية، د. ط، 2000 ص 7.

حيث يضيف قائلا : «**أن هناك تشابه بين مسرحتي جحا والطبيب، فيجب العودة إلى مصدر مشترك وهي حكاية في القرون الوسطى تحمل عنوان vilain mire وأضيف مصدر أخر، هو قمر الزمان – من حكايات ألف ليلة وليلة، وقد أضفت لعملي هذا، بالإضافة إلى العمل الدرامي، اسم وأسلوب وشخصية جحا المعروفة بجاذبيتها في الأوساط الشعبية.**»[9]

وما يثير تساؤلاتنا هنا هو علمنا أن التراث المغاربي والجزائري يزخر بالكثير من المواضيع المتنوعة والمثيرة، التي تتلاءم مع مختلف القضايا التي قد يرغب المسرحي بطرحها على خشبة المسرح، فلماذا البحث عن المواضيع في ثقافة الغير ؟ وهل كانت العودة للاقتباس عن المسرح الأجنبي تعود فقط لغنى وتنوع موضوعاته ؟ أم أن هناك دوافع أخرى وراء العودة للمسرح الأجنبي وخاصة المسرح الفرنسي ممثلا في أعمال رائد الكوميديا موليير ؟

وغير بعيد عن هذا يرى مخلوف بوكوح أن رواد المسرح الجزائري قد استفادوا من المسرح الأوروبي وخاصة الفرنسي في جانبه التقني فحسب، فلم يلجؤوا إلى اقتباس المآسي والملاهي الفرنسية وفق حمولتها الثقافية، وإنما اقتبسوها من منطلق بنيتها الشكلية والفنية مع تجريدها من كل شيء لا يمت بصلة لخصوصيات المجتمع الجزائري ومكونات هويته الثقافية، وهو ما عبر عنه قائلا : «**أن الكتاب الجزائريين الأوائل لم يعتمدوا في تأليفهم لهذه الملاهي على النماذج الكلاسيكية للمسرح الفرنسي الذي كان منتشرا في الجزائر في هذه الفترة، حتى وإن سلمنا بوجود تأثر فإنه لم يظهر في ظاهرة الاقتباس، بل ظهر في طريقة كتابة المسرحيات المعتمدة على تقنية مسرحية كلاسيكية، ومنها تقسيم المسرحية إلى فصول أو مشاهد**»[10]

---

[9]- المرجع السابق، ص08.

10- مخلوف بوكروح، المسرح الجزائري بين الخصوصية والعالمية، جريدة الفنون، الكويت، ع35، نوفمبر2003،ص40.

تمت (أ,حميدة سليوة)

بالتعاون مع الأستاذة: إيمان هنشيري

قسم الفنون جامعة باتنة